إيكاردا
المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة
IRESA
مؤسّسة البحث و التّعليم العالي الفلاحي
معهد المناطق القاحلة
Institut des Régions Arides
نوفمبر 2021

ورقة سياسات

نحو هندسة أفضل لمشاريع التنمية الرعوية بتونس

أيمن فريجة[1]، مريم الصغير[1,2]، منجي الصغير[2]
(1) المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (إيكاردا) - تونس
(2) معهد المناطق القاحلة (IRA) - مدنين، تونس

يتقدم المؤلفون بالشكر لجميع الجهات المانحة والمنظمات التي تدعم برامج أبحاث CGIAR على الصعيد العالمي من خلال مساهماتها في نظام CGIAR. وقد تم دعم هذا العمل بشكل خاص من قبل برنامج بحوث CGIAR (CRP) حول "السياسات والمؤسسات والأسواق" (PIM) بالإضافة إلى برنامج بحوث CGIAR (CRP) حول الماشية (Livestock). يقر المؤلفون أيضاً بالدعم الذي تلقوه من الشركاء المحليين الذين ساهموا في نجاح هذا البرنامج البحثي.

الإطار العام والغرض من ورقة السياسات

تلخص ورقة السياسات أهم مخرجات البحوث الاجتماعية والمؤسساتية التي أنجزت في إطار برنامج التعاون العلمي بين معهد المناطق القاحلة وإيكاردا في خلال الفترة 2017-2020 حول نظم هندسة مشاريع التنمية الرعوية وتأثيراتها على إدارة المراعي في جنوب تونس وذلك بمشاركة الأطراف الفاعلة التي تُعنى بالمراعي والسياسات الرعوية (Frija et al., 2019). وتهدف هذه الورقة إلى اقتراح جملة من الدروس المستفادة وبعض التوجيهات السياسية لتعزيز هندسة مشاريع التنمية الرعوية وخاصة تصميم وتنفيذ المشاريع الحالية والمماثلة بما يتعلق بإدارة المراعي بتونس.

لقد خلصت دراسة التجربة التونسية في مجال إنجاز مشاريع التنمية الرعوية على مدى العقود الأربعة الماضية إلى أن هندسة هذه المشاريع قد واجهت كثيراً من الصعوبات والعراقيل بسبب ندرة الموارد الطبيعية وتعقيدات الفضاء والمجتمعات الرعوية والأطر المؤسساتية في المراعي. إذ غالباً ما يعزى الضعف النسبي المصاحب لإنجاز هذه المشاريع إلى صعوبة الظروف المناخية وندرة الموارد الطبيعية والإشكاليات الاجتماعية والاقتصادية. وغالباً ما يُولى اهتمامٌ محدود لهذه العوامل عند هندسة وإدارة مشاريع التنمية المحلية الرعوية.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى اعتماد تدابير فورية في مجال السياسات الرعوية لوضع الأسس لتطوير هندسة مشاريع التنمية الرعوية والفلاحية في تونس والتي تظل من أهم روافد التنمية الريفية في معظم مناطق الجنوب التونسي.

تستهدف هذه الورقة صناع القرار والمشرفين على مشاريع التنمية الرعوية والأطراف الفاعلة من أجل تطوير قدرات وفاعلية هندسة مشاريع التنمية الرعوية والفلاحية في تونس.

نقاط قوة هندسة مشاريع التنمية الرعوية في تونس

أسفر تحليل تجربة وحدات التصرف لمشاريع التنمية الرعوية في ولايات الجنوب الثلاثة، تطاوين وقبلي ومدنين، عن كشف نقاط قوة مشتركة بما يتعلق بهندسة المشاريع الرعوية، ومن أهمها:

- ✓ اعتماد المقاربة التشاركية من خلال صياغة وتنفيذ المشاريع، ومن المؤمل أن تترجم إلى تبنٍّ أقوى للإنجازات والى استدامة استثمارات المشاريع.
- ✓ المجهودات الكبيرة في تعبئة الاطراف الفاعلة لزيادة انخراطها وإشراكها في إنجاز مشاريع التنمية الرعوية وذلك من خلال أنشطة الاتصال والتوعية المنجزة ضمن النهج التشاركي المعتمد.
- ✓ دمج مقاربة سلاسل القيمة وريادة الأعمال في مقاربة التنمية الإقليمية قد ساهم في إبراز مقاربات مبتكرة من حيث كفاءة هندسة المشاريع، مما أدى إلى تحسين الديناميّة الاقتصادية في المناطق المستهدفة، على غرار تجربة مشروع PRODEFIL في مدنين. مع العلم أن هذه المقاربات الأكثر تعقيداً لمشاريع التنمية الزراعية الرعوية لم تكن دائماً سهلة التنفيذ في الممارسة العملية، وبالتالي يتطلب تطويرها بذل جهود مكثفة من حيث تنمية القدرات لدى كل الأطراف المعنية وبالخصوص إطارات وحدات إدارة وتسيير المشاريع.
- ✓ الخبرة المكتسبة من خلال تنفيذ مشاريع التنمية الزراعية الرعوية ودورها في إرساء الأسس لتنفيذ مقاربات إنمائية مبتكرة أكثر تكاملاً وشمولية على غرار مقاربة الذكاء الاقتصادي والإقليمي (intelligence économique et territoriale).

التحديات والنقائص

- ✓ الافتقار إلى الاستشراف المبكر لأنشطة تنمية القدرات لدى الأطراف المحلية الفاعلة والتي من شأنها ضمان فرص استدامة الإنجازات والمخرجات حتى بعد اكتمال المشاريع. إذ عادةً ما يُتخذ ذلك في المراحل اللاحقة من خلال صياغة استراتيجيات الخروج والتي قد لا تكون كافية لضمان استدامة تأثيرات المشاريع.

- ✓ الحاجة إلى مساعدة فنية فعالة لوحدات إدارة المشاريع وإلى المرونة في الاجراءات والترتيبات التعاقدية للموارد البشرية التي يمكنها تقديم دعم فني قوي للمشاريع. تُعد تجربة مشروع PRODEFIL بمدنين، الذي تلقّى الدعم بقوة من حيث المساعدة الفنية من خلال منحة من الاتحاد الأوروبي، مثالاً رائداً يستوجب الدراسة للاستئناس بها مستقبلاً.
- ✓ المستوى المتواضع للتمثيل الاجتماعي للمنظمات المهنية القائمة (المجامع بالخصوص) مما نتج عنه نقص في فاعلية إنجاز المشاريع وإشكاليات معارضة وعزوف بعض الفئات المستهدفة وقلة تبنيها ومشاركتها الفعلية في أنشطة المشاريع مما يمثل تهديداً لفاعليتها وديمومتها. إضافة إلى تقلص إشعاع المشاريع من حيث استهداف المستفيدين نظراً لضعف عدد المنخرطين في هذه المنظمات الشريكة.
- ✓ عدم كفاية معاضدة المصالح المركزية لوحدات إدارة المشاريع من حيث علاقتها العامة مع الإدارات والمنظمات المحلية مما يقلص فاعليتها وبالتالي ينعكس سلباً على مستوى تقدم الإنجاز وتحقيق الأهداف المرسومة في الأوقات المحددة وبأقل كلفة ممكنة.
- ✓ النقص الحاصل في تنظيم السكان المحليين ضمن منظمات اجتماعية مهنية على غرار المجامع والتي تتطلب وقتاً أطول من فترة إنجاز المشروع. إلى جانب ضعف برامج دعم ومرافقة مبادرات التنظيم التي تتطلب استراتيجيات اتصال فعالة وبرامج تنمية للقدرات التشغيلية لهذه المنظمات.

توصيات لتوجيه السياسات لتطوير هندسة مشاريع التنمية الرعوية في تونس

- ✓ من الأهمية بمكان مراعاة الخصوصيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لكل منطقة من مناطق تدخل المشاريع في تصميم وتنفيذ هندسة مشاريع التنمية الرعوية لتجنب التعميم والإطلاق اللذين قد يؤديان في بعض الظروف إلى حالات فشل يصعب استرداد تكاليفها ويكون الضرر حينها غير قابل للإصلاح.
- ✓ تطوير هندسة مشاريع التنمية الرعوية لتنخرط أكثر ضمن مقاربة إقليمية مندمجة في مختلف برامج التنمية الأخرى (Approche territoriale intégrée)، وتكون أكثر شمولية ومتعددة القطاعات مع تجنب الرؤى المجزأة والاختزالية للتنمية (Woloszyn et al., 2021 ; Bertacchini et al., 2021). من هذا المنظور يجب إدماج هذه المشاريع بشكل كامل في استراتيجيات التنمية والتخطيط الإقليمي وباعتماد مقاربات مجددة ومبتكرة على غرار مقاربة الذكاء الاقتصادي والإقليمي (intelligence économique et territoriale) التي برهنت على فاعليتها لإيجاد حلول لإشكاليات التنمية بمناطق مماثلة ذات وضعيات معقدة.
- ✓ دعم التمكين المؤسساتي القوي وإرساء نموذج فعال لحوكمة وإدارة هندسة مشاريع التنمية الرعوية من خلال توفير معاضدة هياكل التصرف والتنفيذ وهي شروطٌ حاسمة لنجاح هذه المشاريع.
- ✓ إمداد مشاريع التنمية الرعوية بوحدات تصرف تتمتع بالإمكانيات والأطر الإدارية والمؤسساتية الضرورية والقدرات التشغيلية الفعالة لصنع واتخاذ القرارات (اتخاذ القرار المرن والفعال، وقدرات الموارد البشرية بالمهارات والقدرات المطلوبة، وما إلى ذلك). مما يضفي شرعية أكبر لتعبئة الموارد المالية للاستثمارات المبرمجة ويدعم فرص تبني المشاريع من قبل الفئات المستهدفة وبالتالي الرفع من التأثيرات المنتظرة لهذه المشاريع.
- ✓ من المهم بهذا المعنى ضمان الملاءمة بين الوسائل والموارد المخصصة من جهة (لا سيما رأس المال البشري والمادي) وأهداف المشاريع من جهة أخرى، وهو ما سيؤدي بالضرورة إلى الرفع من الكفاءة العامة لمشاريع التنمية الرعوية.
- ✓ إيلاء اهتمام خاص لمرحلة التشخيص التشاركي للتنمية في إطار مقاربة هندسة مشاريع التنمية الرعوية وذلك لتحديد الاحتياجات الحقيقية للسكان المحليين بنجاح وبالتالي تحسين ملاءمة وكفاية مشاريع التنمية الرعوية. وفي هذا السياق يجب النظر في إجراء مرحلة التشخيص المتعمق قبل صياغة وتصميم الأطر المنطقية للمشاريع.
- ✓ العمل على تطوير مقاربة تنمية شاملة وعادلة وغير إقصائية لمشاريع التنمية الرعوية بما في ذلك إدماج أهداف ذات مدى بعيد وذلك لضمان استدامتها والرفع من فعاليتها في إنشاء رأس مال اجتماعي وقاعدة معايير وأخلاقيات اجتماعية للتنمية الرعوية. ومن شأن ذلك أن يساهم بالتأكيد في الرفع من التأثيرات الطويلة المدى للمشاريع واستدامتها.
- ✓ بالمحصلة، تؤكد نتائج الدراسات التي أجراها فريق معهد المناطق القاحلة وإيكاردا على أهمية تطوير قدرات المنظمات المهنية والاجتماعية على غرار مجامع التنمية التي تُعد مؤسسات رئيسية لإدارة المراعي. وتؤكد النتائج أيضا على أهمية الاستجابة لحاجيات المجتمعات الرعوية المحلية من حيث التنويع الاقتصادي وذلك من خلال بدائل أوسع من الأنشطة المدرة للدخل وفرص العمل، والمبادرات الاقتصادية.

مراجع

Aymen Frija, Mongi Sghaier, Boubaker Dhelibi, Mondher Fetoui 2019. Frameworks, tools, and approaches for the assessment of rangeland governance. ICARDA manual and guidelines series. https://hdl.handle.net/20.500.11766/10081. March 2019.

Philippe Woloszyn, Béatrice Quenault, Guillaume Faburel 2012. Territorial intelligence of vulnerability systems - A transitional viewpoint of sustainable development. Vulnerabilities and Resilience between Local and Global, UNISA - DISUFF Dipartimento di Scienze Umane, Filosofiche e della Formazione, GDRI INTI Group de Recherche International International Network of Territorial Intelligence, June 2012. Fisciano (SA), Italy. hal-01546823

Yann Bertacchini, Paul Déprez, Ana Maria Perez-Rubio 2012. Networks & Local Knowledge: A Language of Mediation to Arrange In a Process of Territorial Intelligence. Review of Contemporary Business Research pp. 23–31. December 2012.

ISSN 2708-8081
9 772708 808158 00821